الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتّقين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد :

قال شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى في رسالته (نواقض الإسلام) قال في النّاقض الأوّل:

الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، **وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**[المائدة:٧٢] **وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.**

****

مضى في لقاء الأمس الكلام على أهمّيّة معرفة نواقض الإسلام من أجل اتّقائها والحذر منها وتحذير النّاس من أن يقعوا فيها صيانة للدّين، وحفظًا للعقيدة، وتحقيقا لِما خُلِق العبد من أجله من توحيدٍ لله عزّ وجلّ وإخلاصٍ للدّين له تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومضى أيضا أنّ الشّيخ رحمه الله تعالى عدّ عشرة نواقض ، وعرفنا أنّ هذا ليس على سبيل الحصر، وإنّما هو بيانٌ لأهمّ ما ينتقض به الإسلام وأنّ بقيّة النّواقض في الجملة ترجع إلى هذه النّواقض العشرة الّتي ذكرها رحمه الله تعالى .

وبدأ رحمه الله بالنّاقض الأوّل من نواقض الإسلام وهو الشّرك بالله ؛ لأنّ الشّرك أعظم الموبقات وأكبر الكبائر وأعظم المحرّمات.

❖ أعظم الموبقات أي: المهلكات ولهذا بدأ به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في قوله: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ..)) ثمّ ذكر بقيّة الموبقات فبدأ به.

❖ وأكبر الكبائر كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» بدأ به.

❖ وأعظم المحرّمات كما في آية المحرّمات، آية النّواهي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] فبدأ بالإشراك بالله.

❖ وهو أظلم الظّلم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣] ، وقال جلّ وعلا: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤].

❖ وهو الذّنب الّذي لا يُغفَر كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:٤٨] .

❖ وهو الذّنب الّذي حرّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على صاحبه دخول الجنّة وقضى أن يكون في النّار مخلّدا فيها أبد الآباد: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢] .

❖ وهٰذا الذّنب العظيم والجرم الوخيم مصادم تمام المصادمة ومنافٍ تمام المنافاة لِما خُلِق العبد من أجله ووُجِد لتحقيقه وهو عبادة الله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات:٥٦] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البيّنة:٥]، وقال جلّ وعلا : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزّمر: ٣].

قال رحمه الله تعالى: «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» وعرفنا أيضا معنى العبادة: وأنّها اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة، والعبادة بكلّ أصنافها وجميع أنواعها وأفرادها حقّ لله لا شريك له ، فمن صرف شيئا من العبادة لغيره كائنًا من كان فقد أشرك بالله العظيم واتّخذ مع الله سبحانه وتعالىٰ الأنداد والشّركاء ، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢] أي: لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنّه لا خالق لكم غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد ذكر الشّيخ رحمه الله تعالى في التّحذير من الشّرك وبيان سوء مغبّته وعظم عقوبته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دليلين من القرآن الكريم:

الأوّل: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في موضعين من سورة النّساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:٤٨، ١١٦].

الثّاني: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

اقتصر رحمه الله على ذكر هذين الدّليلين لأنّ هٰذه الرّسالة مختصرة في بيان النّواقض وليس الموضع فيها موضع بسطٍ وتفصيل، وإلّا فإنّ الآيات الّتي في القرآن الّتي ذُكِر فيها الشّرك وبُيِّنت عقوباته وحُذِّر منه وبُيِّن سوء مآل أهله في دنياهم وأخراهم كثيرة تتجاوز المائة والخمسين آية في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والآية الأولى الّتي ذكر المصنّف رحمه الله تعالى وهي قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فيها أعظم تحذير وأشدّ زجر ونهي عن الشّرك بالله ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ توعّد في هٰذه الآية المشرك به الّذي مات على الشّرك بالله أنّه لا يغفر له ، وأنّ المشرك الّذي يلقى الله يوم القيامة مشركًا لا مطمع له يوم القيامة في مغفرة الله، ولا سبيل له إلى نيل رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأنّ الله عزّ وجلّ حرّم رحمته ومغفرته على الكافرين، وهٰذا توعّدٌ مقيّدٌ في هٰذه الآية بالإشراك به ، خصّص هٰذا الذّنب وقيّد المغفرة قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ خُصَّ هنا الشّرك من بين الذّنوب قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لم يُذكَر مع الشّرك الذّنوب الأخرى، وإنّما خصّ الشّرك وحده بالذّكر من بين سائر الذّنوب قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ لَمّا خصّص من الذّنوب ذنب الشّرك بأنّه لا يُغفَر قيّد في الآية المغفرة بمن يشاء قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ والمراد بذلك : أي من لقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة ؛ الّذين يلقونه بالشّرك والّذين يلقونه بالذّنوب الأخرى أخبر جلّ وعلا أنّ من يلقاه بالشّرك لا يغفر له، ومن يلقاه بغير الشّرك بالذّنوب الّتي هي دون الشّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنّه جلّ وعلا يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، أي: الأمر في هؤلاء الّذين لقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذنوبٍ دون الشّرك به تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر، وإن شاء عذّب ، وإن عذّبهم لا يخلّدهم في النّار ، لأنّه لا يُخلَّد في النّار إلّا المشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهٰذا يجب أن نعلم أنّ هٰذه الآية الكريمة من سورة النّساء في حقّ من مات على الشّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهٰذا ليس بين هٰذه الآية الكريمة وقول الله عزّ وجلّ في سورة الزّمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(٥٣)﴾ ، قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ يدخل في ذلك يدخل في ذلك الشّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو لا يدخل ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الشّرك داخل في هٰذا التّعميم أو ليس بداخل ؟ الجواب: أنّ الشّرك داخل في هٰذا التّعميم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ، لِماذا قلنا داخل وقد قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾؟ فلِمَ قلنا في آية الزّمر إنّ الشّرك داخل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي بِما فيها الإشراك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

الجواب: لأنّ آية الزّمر في حقّ من تاب ، وآية النّساء في حقّ من مات على ذلك ، من مات على الشّرك ومات على الذّنوب؛ الّذي يموت على الشّرك لا يُغفَر له، والّذي يموت على المعاصي تحت مشيئة الله، إن شاء عذّب وإن شاء غفر ، ليس المراد في آية النّساء من تاب، لأنّ من تاب من الشّرك أو من غيره تاب الله عليه، بدون أن يقيّد الأمر بالمشيئة من تابَ تاب الله عليه . ولهٰذا لَمّا ذكر في آية الزّمر مقام التّوبة إليه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولم يقيّد، عمّم وأطلق، وفي آية النّساء خصّص وقيّد، بينما في آية الزّمر عمّم وأطلق: عمّم الذّنوب كلّها بِما فيها الشّرك ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ، وأطلق ولم يقيّد كما جاء التّقييد في آية النّساء .

والدّليل على أنّ المراد بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: من مات على ذلك، الدّليل على ذلك قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وهذا الخطاب لا يتوّجه إلى من مات بذنوبه ومعاصيه ، وإنّما يتوجّه هذا الخطاب

للحيّ المكلّف المخاطب بالتّكاليف يقال له: لا تقنط، أي: تُب إلى الله، تب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأقبِل عليه واندم على الذّنوب وفارقها، قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: توبوا إلى الله فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يغفر الذّنوب جميعا، أي: لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره ، مهما عظم الذّنب ومهما كبر الجرم فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فهو الغفور الرّحيم ، يغفر الذّنوب جميعا، مهما كثرت وتعدّدت وامتدّت من حيث المساحة التّاريخيّة والزّمنيّة، ومهما غلظت وعظمت وكبرت يغفر الذّنوب جميعا أي: في حقّ التّائبين إلى الله، فمن تاب وصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في توبته محا الله عنه ذنوبه وغفر له سيّئاته ولو كانت شركا، كفرًا ، زندقة، إلحادًا، إجرامًا، مهما كان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ وهذه أكبر الجرائم وأعظم الموبقات، قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ﴾ من تابَ تاب الله عليه ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١] . فقوله جلّ وعلا في سورة النّساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ الحديث في هٰذه الآية عمّن لقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالشّرك، ولقوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالذّنوب الأخرى الّتي دون الشّرك حكمهم يوم القيامة: أنّ المشرك لا مطمع له إطلاقا في مغفرة الله، ولا سبيل له البتّة لنيل رحمة الله، بل ليس له يوم القيامة إلّا النّار مخلّدا فيها أبد الآباد، لا يُقضى عليه في النّار فيموت وينتهي الأمر بموته، ولا أيضا يخفّف عنه من عذابها، ولا أيضا يُخرَج من النّار ويعاد إلى الدّنيا ليعمل صالحا غير الّذي كان يعمل، كلّ ذلكم لا يكون.

والمشرك يطلب وهو في النّار من الله أن يقضي عليه فيموت وينتهي كلّ شيء بموته، ويطلب أن يُخَفَّف عنه العذاب، ويطلب كذلك أن يعاد إلى الدّنيا ليعمل صالحا وليتوب ولينيب إلى الله، والجواب على هٰذه الطّلبات ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨] وقال جلّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ هٰذا الأمر الأوّل ، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ هٰذا الأمر الثّاني ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ هٰذا الأمر الثّالث الّذي يطلبونه ، قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ، ولننتبه هنا أنّ المراد بالظّالمين: المشركين، وأنّ المراد بالظّلم هنا: ظلم الشّرك والكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أمّا الظّلم الّذي هو دون الشّرك؛ ظلم النّفس بالمعاصي والذّنوب فهٰذا حكمه آخر كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وهٰذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ تعدّ قاعدةً عظيمة، وأصلًا متينا في باب الوعيد والتّهديد الوارد في كتاب الله وسنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بمعنى أنّ آيات الوعيد الّتي جاءت في القرآن الكريم يجب أن تُفْهَم في ضوء هٰذه الآية الكريمة ، لأنّ هٰذه الآية أصل وأساس تعاد إليه نصوص الوعيد الواردة في كتاب الله وسنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجب أن تُفْهَم في ضوء هٰذه القاعدة الّتي انتظمتها هٰذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

وللتّوضيح أقول: لو قرأنا سورة النّساء سيمرّ علينا في موضعين من هٰذه السّورة هٰذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ ، وبين هٰذين الموضعين في سورة النّساء ورد قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[النساء:٩٣] ، لَمّا انتزع أقوامٌ من أهل الأهواء وأرباب الضّلال هٰذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ لَمّا انتزعوا هٰذه الآية وجرّدوها من سياقاتها في القرآن الكريم وحكموا في ضوئها على مرتكب الكبيرة ضلّوا ضلالا مبينا ؛ فقالوا: إنّ مرتكب الكبائر –أي الّتي دون الشّرك– مخلّد في النّار يوم القيامة، قالوا: والدّليل أنّ الله قال في حقّ القاتل:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾. فيقال لهؤلاء: ماذا تصنعون في آيتين في القرآن وردتا في السّورة نفسها تسبق هٰذه الآية وتأتي بعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ ! والقتل دون الشّرك فماذا تصنعون في هٰذه الآية؟

ولهذا ذكر جماعة من العلماء أنّ أحد أصحاب هٰذا الفكر الضّال الّذين يحكمون على مرتكب الكبيرة الّتي هي دون الشّرك بالخلود في النّار أبد الآباد مستدلّين بالمتشابه معرضين عن المحكم، قد قال الله عزّ وجلّ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ثمّ ذكر طريقة أهل الزّيغ قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧] أي: الرّاسخون في العلم يعلمون تأويله كما قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «أنا من الرّاسخين في العلم الّذين يعلمون تأويله» ، والمراد بتأويله: أي معنى المتشابه، الرّاسخ في العلم يعلم معنى تأويله، وطريقة الرّاسخين في العلم: إعادة المشتبه إلى المحكم فيتّضح ويزول الاشتباه . أمّا أهل الزّيغ فيعرِضون عن الآيات المحكمات ويتّبعون المتشابهات ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

فأحد أرباب أهل الضّلال مِمّن يحكمون على مرتكب الكبيرة بالخلود في النّار قال مقالة شنيعةً آثمة أراد بها تشكيك النّاس في أديانهم وعقائدهم، ولكنّ الله عزّ وجلّ ألجمه بِما يقطع دابره في المجلس نفسه، قال ذلكم الرّجل في مجلس: " أنا إذا وقفت أمام الله يوم القيامة سأقول له: إنّ مرتكب الكبيرة مخلّد في النّار" –أراد أن يشبّه على

النّاس- قال: " فإذا قال لي: ما الّذي حملك على ذلك؟ قال: أقول أنت قلت في القرآن:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ ، قد ذكر هٰذه القصّة ابن قتيبة رحمه الله وجماعة من أهل العلم ، وكان في المجلس شابّ صغير فقال له على الفور:" فإذا قال لك الله: وقد قلتُ في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وقد شئتُ أن أغفر له فماذا تقول ؟ فبُهت . الّذي صنعه هٰذا الشّابّ بتوفيق من الله أعاد هٰذه الآية إلى المحكم، قال: "إذا قال لك: قلت في القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ القتل دون ذلك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، ولهذا بعض المفسّرين قالوا عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ قالوا: هٰذا جزاؤه إن جازاه، لأنّ الأمر في قوله: ﴿يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ قُيّد بالمشيئة ، ولهذا قالوا: هٰذا جزاؤه إن جزاه، لأنّ الأمر تحت المشيئة مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وقد شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما تدلّ على ذلك آيات في القرآن وأحاديث في السّنّة النّبويّة أن لا يُخلَّد في النّار إلّا المشرك: ((أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ)) .

فإذا وُفِّق المسلم إلى طريقة أهل العلم بفهم المتشابه في ضوء المحكم من آيات كتاب الله عزّ وجلّ، ولم يتّبع المتشابه كطريقة أهل الزّيغ معرضًا عن المحكم فإنّه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقف على الحقّ والهدىٰ ويسْلم من الضّلال والرّدى.

هٰذه الآية الأولى الّتي أوردها الشّيخ رحمه الله مستدلّا بِها على عظم جرم الشّرك، وأنّه ذنب لا يغفره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لصاحبه إذا لقي الله بذلك ، أمّا المشرك في الدّنيا إذا تاب تاب الله عليه كما يدلّ لذلك آية الزّمر كما مرّ إيضاح ذلك وبيانه .

الآية الثّانية الّتي أوردها رحمه الله : قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ؛ ذكر هٰذه العقوبات في حقّ المشرك أنّ الجنّة عليه حرام، قال الله في القرآن: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] ومن المعلوم أنّ الجمل الكبير لا يدخل ولا يمكن أن يدخل مع ثقب الإبرة الصّغير ، ومعنى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ معنى ذلك أنّهم لا يدخلون الجنّة أبدًا، لأنّ الجمل مهما حاول أن يدخل في سمّ الخياط أي في ثقب الإبرة الصّغير لا يمكن ولا يستطيع ، فالمراد بذلك أنّهم لا يدخلون الجنّة أبد الآباد، الجنّة عليهم حرام، ريح الجنّة لا

يجدونه فضلا عن رؤيتها أو دخولها أو التّعلّل بطيب هوائها وصفاء جوّها، حرّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم الجنّة ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾

﴿وَمَأْوَاهُ﴾ : أي مسكنه الّذي يأوي إليه ويكون فيه مخلّدا أبد الآباد النّار، بِما أعدّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها من العقاب الأليم والنّكال الشّديد. اللّهمّ أجرنا من النّار، اللّهمّ أعذنا من النّار، اللّهمّ إنّا نسألك الجنّة يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام، ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب.

قال: ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي: لن يجد الظّالم من ينصره، من يخلّصه، من ينجّيه من عذاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعقابه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ، والمراد بالظّالمين هنا: أي المشركين الكفّار مثل ما ذكرنا في الآية الكريمة الّتي في سورة فاطر ، المراد بالظّلم هنا الكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النّاقل من الملّة، المراد: الإشراك بالله عزّ وجلّ .

لأنّ «الظّلم» يطلق في القرآن تارة ويراد به الشّرك، ويطلق تارة ويراد به ظلم النّفس فيما دون الشّرك.

فمن أمثلة إطلاق الظّلم وإرادة الشّرك قوله هنا: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ونظائر ذلك كثير.

وتارة يطلق الظّلم ويراد به ظلم النّفس فيما ما دون الشّرك كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[فاطر: ٣٢-٣٣] قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ من هم؟ يعود على من؟ «الواو» في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ تشمل من؟ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ ثمّ قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ كلّهم أو بعضهم ؟ كلّهم، حتّى الظّالم لنفسه، كلّهم يدخلون الجنّة، فكيف يُوَفَّق بين هٰذا وبين قوله في الآية السّابقة: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ؟

المراد هناك الظّلم ظلم الشّرك، والمراد بالظّلم هنا في هٰذه الآية الظلم الّذي دون الشّرك ، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي بالذّنوب والمعاصي الّتي هي دون الشّرك بالله، لأنّ السّياق من أوّل الآية في حقّ المسلمين الّذين ورثوا الكتاب ليس في حقّ الكفّار ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فوصفهم الله بالمصْطَفَيْن ووصفهم بأنّهم عباده جلّ وعلا ، وذكرهم أقساما ثلاثة: الظّالم لنفسه، والمقتصد، والسّابق بالخيرات، كلّ هؤلاء مسلمون؛ السّابق بالخيرات: الّذي فعل الواجبات وترك المحرّمات ونافس في الرّغائب والمستحبّات، والمقتصد: الّذي اقتصر على فعل

الواجبات وترك المحرّمات، والظّالم لنفسه : الّذي ظلم نفسه بالذّنوب الّتي دون الشّرك بالله، جميع هؤلاء قال الله عنهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ . ولهٰذا بعض أهل العلم في كتب التّفسير يعظّمون شأن هٰذه «الواو» في قوله:﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ ويفخّمون أمرها لأنّها رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفضل، شملت الظّالم لنفسه قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي بما فيهم الظّالم لنفسه .

لكن كما بيّن العلماء رحمهم الله : السّابق بالخيرات والمقتصد كلاهما يدخل الجنّة بدون حساب ولا عذاب ، وأمّا الظّالم لنفسه فهو يدخل الجنّة لكن قد يمرّ قبل ذلك بمرحلة تطهير في نار جهنّم ، ولهذا دخوله الجنّة وشمول الآية له في قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ لا يلزم منه أن يكون هٰذا الدّخول دخولًا أوّليّا مباشرة؛ بل قد يمرّ قبل ذلك بمرحلة تعذيب أو مرحلة تطهير.

وممّا يدلّ لذلك أيضا أنّك إذا قرأت سياق الآيات بعد هٰذه القسمة الثّلاثيّة وقول الله فيهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بعدها بقليل قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧] قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ هنا يختلف عن قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾؛ هنا قوله: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين الكفّار، وهناك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي بالذّنوب والمعاصي الّتي دون الشّرك .

ونواصل الحديث غدا إن شاء الله، والله أعلم، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمّد .